فيلم ..لا يُمَل

من المفترض أن تنطلق كالهواء، وأن يستمتع الركاب بانسيابها السلس الناعم، فهي من أحدث طراز، وهذه هي رحلتها الأولى، كل ما يحلم به الراكب يمكن أن يجده فيها، هي كالطائرة، إن لم تكن أجمل، كل وسائل الراحة والترفيه متوافرة فيها، ولا داعي للوصف والتفصيل.

مدير الشركة الناقلة اختار أكبر السائقين لديه عمراً وأكثرهم خبرة لقيادة الحافلة، ولكن السائق كان أول المستائين، الحفر والمطبات وأكوام التراب وورشات التصليح تمتد على طول الطريق، ما إن يودع حفرة حتى يلتقي بمطب، وما إن يغادر ورشة حتى يلتقي بأخرى، ورشة تحفر من أجل الهاتف، وأخرى من أجل الكهرباء، وثالثة للجسور ورابعة وخامسة...ولم تمض ساعة، حتى سمع في الداخل لغط وما يشبه الشتائم، وأسرع المعاون يستطلع الأمر.

الأصوات في الداخل تعلو على صوت التلفاز، وأربعة أجهزة موزعة فوق رؤوس الركاب تبث صور طائرات إسرائيلية تسبح في الفضاء، وصوت المذيع يتحدث بنبرة

عالية عن اختراق الطائرات حاجز الصوت فوق بيروت وعن الخسائر التي تلحقها الصواريخ الموجهة إلى قرى الجنوب.

ويرجع المعاون ليقول للسائق:

ـ راكب في المقعد ١٨ أرجع مسند كرسيه إلى وراء إلى آخر مدى، فاستاء منه الراكب الذي خلفه مباشرة في المقعد ٢٢ لأنه اقتحم عليه فضاءه، وتلاسنا وهمَّ كل منهما بضرب الآخر.

ويرد عليه السائق:

ـ انظر في القائمة التي تحمل أسماء الركاب، سنعطي اسميهما للشركة الناقلة، لتحرمهما من ركوب الحافلة مرة أخرى.

ينظر المعاون في القائمة، ثم يعلق ساخراً:

ـ أمر غريب، انظر، هما أخوان، يحملان كنية واحدة.

ـ تأكد من اسم الأب؟

ويرد المعاون:

ـ لا، ليسا أخوين، هذا من أب وذاك من أب، ولكن الكنية واحدة.

ينظر السائق بطرف عينه إلى القائمة، يعلق:

ـ هما من حارتي، أعرف جدهما، هما أبناء عمومة، والد أحدهما ارتحل منذ عشرين عاماً إلى الخليج، عمل هناك مدرساً، جنى بعض المال، أما أخوه فقد عمل هنا بالتجارة، أحواله المادية فوق الريح، ربما كان ثاني أغنى تاجر في البلد، أنا أعرفهما، وأعرف الأسرة كلها، ولكن لا يعرف أحدهما الآخر.

ـ هل أذهب لأخبرهما أنهما أبناء عمومة؟ لكي يصطلحا؟!

يضحك السائق، يرد:

ـ لا، دعهما، إذا عرفا أنهما أبناء عمومة زادت بينهما الخصومة، وقد يصل بينهما الدم إلى الركب.

وتمر الحافلة بحفرة عميقة، ويعلو ثانية الصراخ في الداخل، وتسمع شتائم موجهة إلى السائق.

وأجهزة التلفاز الأربعة المعلقة فوق رؤوس الركاب ما تزال تبث صور الطائرات الإسرائيلية وهي تسبح في الفضاء.

يقترب من المعاون شاب أنيق ناحل، يضع على عينيه نظارة طبية، يبدو أنه مثقف، يهمس للمعاون:

ـ هل من الممكن أن تضع لنا في الفيديو أي فيلم للتسلية؟

ـ أي فيلم تريد؟

ـ أنا أسافر كل أسبوع مرة، وهناك فيلم تعرضه الحافلات دائماً، رأيته أكثر من عشرين مرة، ولا أمل منه، فيلم عادل إمام: الإرهاب والكباب.

ثمة راكب أجنبي في المقعد الأخير من الحافلة، بين يديه كتاب يقرأ فيه.